

بحث بعنوان  
أثر الفنون على المجتمع

إعداد المعلمة:  
علا علي المكرمي

## المقدمة

جميع الكتب و الدراسات المختصة بالفن تؤكد تأثير المجتمع على الفن و بالتالي لا نستطيع ان نغفل دور الفن على افراد هذا المجتمع من خلال مظاهره المتعددة من فن تشكيلي ، شعر ، ادب ، موسيقى ، مسرح .. الخ .

فمن خلال ذلك نفهم ان العمل الفني بجميع مظاهره ، انما يعبر عن روح و ثقافة و حضارة المجتمع في أي زمان و مكان ، فالفنان هو جزء من ابناء المجتمع نراه لا ينعزل و لا يبتعد عن اهم العناصر المؤثرة في الفن و الفنان إلا وهي البيئة و الانسان و الموهبة ، مهما قيل عن حرية الفن و الفنان ، وبذلك نكون قد وصلنا إلى مفهوم ان العمل الفني هو وليد انسان و بما ان الانسان وليد مجتمع و عصر معين ، اذن العمل الفني وليد العمل الانساني وليد المجتمع . وهنا لانريد ان نحد من حرية الفن و الفنان ، ولكن لا نستطيع ان نغفل اهمية المجتمع و تأثيره على الفن و الفنان .

من خلال هذه المفاهيم تولدت فكرة كتابة هذا البحث الموسوم (( الفن ودوره الاجتماعي و التربوي وامكانية التفعيل في المجتمعات العربية )) لكون واقفين مع من امن بان الفن ظاهرة اجتماعية و العمل الفني و الفنان و الفن لا يخلو من بصمة مجتمعه و من تأثير الفن ايضا و الفنان على المجتمع فالعملية تبادلية .

وسنتطرق في المبحث الأول عن أهمية وحدود و أهداف البحث ، وفي المبحث الثاني عن الدور الاجتماعي للفن ، وفي المبحث الثالث تفعيل دور الفن في المجتمعات العربية ، وفي المبحث الرابع دور التربية الفنية في نمو المجتمعات .

## مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في جوانب عديدة في مجتمعنا وحياتنا المعاصرة من معطيات ثقافة واجتماعية وتربوية تؤثر في القيم والاتجاهات السلوكية وتفرض واقعاً للفن من حيث الوظيفة المرتبطة بالناحية الجمالية له فتري الباحثة أنه هناك غالباً خلافاً بين ما يحمله الفن من مفاهيم ومبادئ وبين التعبير الحقيقي للفن في مجتمعاته ولا سيما مجتمعنا فنادرًا ما نرى ذلك الفن الذي حمل رسالة ثنياه ويعكس الوظيفة الحقيقية للفن والذي بدوره يعكس مجتمعاتنا ومعتقداتنا الحقيقية وليست تلك التي نريد أعلام الآخرين بها قد أكون قاسية ربما ولكن اراني غالبا وأؤكد غالباً وليس دائماً صوراً لتقنيات ورؤى غربية وربما هذا هو الذي يزيد من اتساع المسافات بين الفئات المختلفة من فنانيين ونقاد وجمهور .

أن من أولى غايات الفن تعميق الثقافة الفنية من خلال ممارسة وظيفته في مجتمع بايجاد نقاط اهتمام وفهم مشترك لأهداف ومؤثرات العمل في الناحيتين الاجتماعية والتربوية ولكن ما ذكرناه اعلاه من خلل أدى إلى ضعف الفهم والوعي المشترك بين تلك الفئات مما أدى إلى ضعف التعاطي مع ثقافته العمل الفني الذي يؤدي بدوره أثر سلباً على النظرة العامة للفنون وعدم اعطائها التقدير الذي يتلاءم مع أهميتها في كونها وعاءاً يحوي في داخله ثروات المجتمع الحضارية ناهيك عما يعكسه ذلك من سلبيات على الفكر الفني والذائقة الجمالية وانطلاقاً من هذا التصور تتطرق الباحثة في اعداد هذا البحث ضمن المفهوم العام للعمل الفني في جانبه الاجتماعي والتربوي .

## أهمية البحث

يستمد هذا البحث أهميته من أهمية الموضوع العام (الفن واثره على المجتمع) الذي يعد بمثابة القاعدة التي يرتكز عليها الوعي الفني والثقافة الفنية وتطوير الذائقة الجمالية والوعي الجمالي .

ويمكن تلخيص تلك الأهمية في النقاط التالية :

أولاً : هناك ضرورة لتجسيد مفاهيم الفن من خلال العمل الفني المعبر في جانبه المعرفي والأدائي في تكوينه النهائي ليعكس على المتلقي رموز ورؤى ارتباطاتها الاجتماعية .

ثانياً : تأكيد تأثير العمل الفني وخصوصاً في عصر العمولة على الجانب الثقافي وانعكاسات ذلك الجانب على المستويين الاجتماعي والتربوي لمجتمعاتنا التي تعكس هويتنا الثقافية والفنية

ثالثاً : أن البحث في الفن والعمل الفني حاجة ملحة لتفسيره بمعانيه الفلسفية والفنية وربطها بالمعطيات الثقافية السائدة في المجتمع .

ومن هذه المنطلقات يأتي هذا البحث كمحاولة للإسهام في تحقيق النقاط أهلاه قناعة بأهمية الفن والعمل الفني وتفعيل دوره .

### أهداف البحث :

تسعى الباحثة من وراء هذا البحث إلى تحقيق :

1. مناقشة التأثير الفكري والفلسفي التربوي والاجتماعي للعمل الفني كمادة معبرة يتجاوز تأثيرها الوظيفية التقليدية .
2. إيضاح الدور الاجتماعي والتربوي للعمل الفني في المنظور المعاصر .

### تساؤلات البحث

ارتباطاً بأهداف البحث تسعى الباحثة من خلال الإجابة على التساؤلين التاليين :

أولاً : ما هي المنطلقات الفكرية والفلسفية من الناحية الاجتماعية والتربوية للعمل الفني كمادة لها تأثيراتها في بناء المجتمع .

ثانياً : ما الدور الاجتماعي والتربوي للعمل الفني كنتاج فني ثقافي معاصر

## منهجية البحث :

نظراً لطبيعة البحث باعتباره بحثاً نظرياً يهدف إلى البحث في الأثر الاجتماعي والتربوي للعمل الفني فقد اعتمدت الباحثة المنهج التحليلي الوصفي للإجابة على تساؤلات البحث وفق الاجراءات التالية :

١. دراسة وتحليل بعض ما وردنا من أدبيات التي تبحث في مفاهيم الفن وأثره الاجتماعي والتربوي
٢. دراسة وتحليل العوامل الذاتية والاجتماعية والتربوية المكونة للعمل الفني.
٣. دراسة وتحليل العوامل الذاتية والاجتماعية والتربوية المكونة للعمل الفني.

## مصطلحات البحث :

١. الابداع / في اللغة أحداث شيء على غير مثال سابق أما الابداع الفني والعملي هو تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقاً .
٢. الأثر / وهو نتية الشيء والحاصل من الشيء أو السمة الدالة على الشيء
٣. اجتماع ، علم الاجتماع / هو علم يبحث في الظواهر الاجتماعية والفن أحد اهم هذه الظواهر وفي مفهومه العام أن للجماعات الانسانية طبائع خاصة لا تدرج من الطبائع التي يدرسها علم النفس وعلم الحياة .
٤. الادراك / في اللغة هو اللحاق والوصول فيقال ادراك الشيء أي بلغه أما في الفلسفة = فالإدراك هو حصول صورة الشيء عند العقل سواء كان ذلك الشيء مجرداً أو مادياً جزئياً أو كلياً حاضراً أو غائباً .
٥. أيديولوجية / هي علم الأفكار وموضوعة دراسة الأفكار والمعاني وخصائصها وقوانينها وتطلق على التحليل والمناقشة لأفكار مجردة لا تطابق الواقع .
٦. الجمال ، علم الجمال / أحد فروع الفلسفة ويبحث في الجمال ومقاييسه ونظرياته وفي الذوق الجمالي وفي أحكام القيم المتعلقة بالأعمال الفنية
٧. ثورة / هي نقطة تحول في حياة المجتمع ويرى ماركس أن الثورة أحد وسائل النمو والتطور الاجتماعي
٨. الذوق / حاسة تدرك بها الطعام من حلو ومالح وحامض ومر ونستخدمها في الفنون على أنها القوة المهيمنة للعلوم من حيث كمالها في الادراك بحسب الفطرة فهي ملكة الحكم على الاعمال الفنية عن طريق الاحساس

والتجربة الشخصية دون تقييد بقواعد معينة وكثيراً ما تتدخل في هذا الحكم ميول الفنان .

٩. فن / يطلق على ما يساوي الصنعة وهو تعبير خارجي عما يحدث في النفس من بواعت وتأثيرات بواسطة الخطوط أو الألوان أو الحركات أو الأصوات أو الألفاظ ويشتمل على الفنون المختلفة كالتصوير والنحت .

١٠. العمل / هو الفعل والمهنة والصنعة والعمل أخص والفعل أعم لان الفعل قد ينسب إلى القوى المادية كما قولنا فعل الحرارة وفعل الطبيعة أما العمل فلا يطلق إلا على الفعل الذي يكون من العاقل بفكر .

### الدور الاجتماعي للفن

تتناقض الآراء حول الدور الاجتماعي للفن فهناك من يرى ان الفن يستمد أهدافه من تحقيق اجتماعية الفن باعتباره نتاج أفراد ينتمون لذلك المجتمع أي تحقيق وظيفته في المجتمع المنتمي له ، وآخرون ينظرون إلا أن دور المبدع (الفنان أو المبدع للعمل الفني ، الناقد المتلقي والمتذوق) ليس التعبير فقط من وجهة النظر الاجتماعية في الفن وغنما التأثير في تلك النظرة مما يؤدي إلى الالتقاء بالذوق العام في المجتمع والبحث عبر الفن في وإنما التأثير في تلك النظرة مما يؤدي إلى الارتقاء بالذوق العام فيا لمجتمع والبحث عبر الفن في وظائف جديدة لاجتماعية الفن وآخرون يرون أن الفن والعمل الفني ليس إلا ناحية ترفيهية في مجتمعاتنا ..

وهذا يقودنا إلى مفهوم الفن للفن والفن للحياة ولنقف أمام ما تراه الباحثة في علم الجماع والاجتماع (جانيت وولف) في كتابها "علم الجمالية وعلم اجتماع الفن" على التحليل الاجتماعي للتذوق الجمالي المعاصر والتي تحدد مقاييس ومعايير للتقييم داخل المجتمع الواحد في فترة تاريخية ما مؤكدة أن الأحكام الجمالية مقبولة هي بالتحديد أحكام جماعات من الناس (الأكاديميون والمفكرون والنقاد وما إلى ذلك) وأن الفن أصلاً يعتبر فن عندما تؤكد هذه الجماعات ، لتقف فيما بعد على أن الأحكام الجمالية يسيطر عليها فكر وأيديولوجيات تربط بين مؤرخ الفن وعالم الاجتماع وعلى الرغم من ذلك فإن التحليل الاجتماعي يمكن أن يكشف بعض أمور الفن وفي هذه الحالة فإن ما يعوز عالم الاجتماع كي يكون نظيراً لناقد الفن ومؤرخه هو نوع من التدريب على الوسائط الفنية أو الرموز الفنية أو المعارف الأخرى التي تشكل الإدراك .

ويرى باحثون ان الفن من خلال المضمون الاجتماعي له يعيد ابتكار الأشكال وإن "سوسيولوجيا الفن توسع الفن من أجل الفنان ذاته وتعيد لابتكار معنى كلياً قدر الامكان".

في حين يرى آخون أن العلاقة تتعدى ذلك إلى عملية صراع تنفوج عنه أبعاد جديدة للعمل الفني "إن العلاقة الحقه بين الفن والحياة الاجتماعية لا ترى في طبيعتها الاجتماعية فحسب والتي هي تصوير العادات والسلوك وطرق الحياة والأذواق والاحداث التاريخية للعصر . بل الأكثر أهمية هو معركة الأفكار التي تنشأ من التغيرات في نمط الانتاج وعلاقات المجتمع بطبقاته".

ويوضح ديفيد انغليز وجون هغسون في مفهومهما إلى سوسيولوجيا الفن بأنه يجب ألا تنتظر إلى لفظه فن نظرة سطحية وألا نقبلها من دون نقد ففي العالم الغربي المعاصر تشير لفظة "فن" إلى مجموعة من الأمور التي تحوي انواعاً معينة من الرسم والنحت والكتب والأداء المسرحي والموسيقى ، وغيرها .

وفي الفكر البديهية في الحياة اليومية ، تعتبر – وتعرف – انواع معينة من الأشياء ذات طبيعة فنية بشكل واضح لا لبس فيه إن فكرة كون مقطوعة غزلية لشكسبير أو لوحة لفان غوغ أو مسرحية لغوته هي عمل فني هو أمر واضح ليس في حاجة إلى اثبات فمن الواضح أنها طبيعياً ذات طبيعة فنية كما أنه من الواضح أن هناك جواهر للفن فتشكل الأشياء التي يطلق عليها قطع فنية دائماً جزءاً من العالم الاجتماعي .

ويؤكد رياض عوض في تفسيره لنشأة علم الاجتماع الجمالي أن أهمية الفن أصبحت في المجتمع موضوع دراسات وأبحاث تدور حول الوظيفة الكبرى التي يلعبها الفن في تأسيس المجتمعات فنشأ بذلك علم الاجتماع الجمالي الذي ينادي بعدم فصل الابداع الفني عن المجتمع وبن التجربة الذاتية تبغى لا قيمة لها إذا نظر إليها بمنأى عن حياة المجتمع صحيح أن الفنان في ابداعه الفني ينطلق من ذاتيته ولا شعوره أو اللاوعي عنده كما يقول علماء النفس غير أن هذه الذاتية وهذا اللاشعور أو اللاوعي عنده كما يقول علماء النفس ، غير أن هذه الذاتية وهذا اللاشعور أو اللاوعي نراه مندمجاً في حياة الجماعة يذيب حياة الفنان في مجتمعه ويحيطها بعوامل ومؤثرات اجتماعية عديدة .

فالفن منذ زمن ليس ببعيد كان ثورة وسلاح بيد مجتمعاته ليكتب حضارته على وجه الزمن "إن النظرة التي تخضع الانتاج الفني لسلطة المجتمع حمل لواءها اساتذة الفن

الاشتراكي في العالم ، مؤكدين على ضرورة الالتزام في الفن لم أعتبر التصوير في يوم من الأيام مجرد فن للترفيه والتسلية ، لقد اردت أن أتوغل اكثر فأكثر في تفهيمي للعالم والناس ، وبالرسم والألوان لانها اسلحتي في هذا السبيل أن التصوير لم يخلق لتزين الحجرات أنه سلاح هجومي ودفاعي ضد العدو" .

أما جماعة الاتجاه الفردي أو الذاتي جماعة الفن للفن فأنهم يعترضون على ذلك بحجة انهم عند ابداع أعمالهم الفنية يكونون بمغزل عن المجتمع وهذا صحيح ولكن من أين يأتي هذا الفنان ومن أين يخلق أفكاره ومن أين يأتي بها يقول د. علي شلق ، ينفي الأشكال وتتحكم جدران الجدل عندما نعلم ان الفنان إنسان وأنه مربوط بالانسانية وأنه مصنوع من وراثه يعيش في مجتمع ويخضع لتجربة ويشترك مع الآخرين في وليمة الحياة لذا فهو فرد من جهة ومجموع من جهة أخربو هذا المجموع منتم إلى عالم .. ، مثلما تدور الكواكب حول نفسها ثم حول الكوكب الجاذب للمجموعة ، الشمس وهذه بدورها تدور حول عالم آخر إلى أن يتحقق التلاحم في وحدة تامة مطلقة من الجميع إذا كان هذا معقولاً ونهائياً فإن كون الفنان منعزلاً يعمل لأجل فنه ، ذاته جمالياته نوع من الخرف المنتمي إلى خزعبلات العابثين .

فرد أصحاب النظرة الاجتماعية إلى الفن على دعاة المبدأ الذاتي والفردي ينطلق من أن الفنان ينتج ويصور اعماله للمجتمع وفي طيات مجتمعه مشاركاً افراد مجتمعه مشاركة روحية والفنان ليس عليه أن ينقل صورة الواقع كمرآة بل يجعله يرتدي ثوباً من وعيه وثقافته وتقاليد مجتمعه ومبادئه وهو بهذا النقل يخلق عمله الفني من خلا وعيه وثقافته وتقاليد مجتمعه ومبادئه وهو بهذا النقل يخلق عمله الفني ومن خلال وعي فلسفي واجتماعي والاحسن ان يكون وعيه الفلسفي بمقدار موهبته .

فالفن الأرقى كما يقول توفيق الحكيم هو الفن الذي يخدم المجتمع دون ان يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا .

ومن ذلك نرى أثر الفن على المجتمع ودوره الكبير فالفنان تقع عليه مسئولية كبيرة ليكون قائداً لمجتمعه في مسيرة التقدم والنهوض لمواكبة العالم من حولنا فالفنان رأى حقيقة وترجمها بعمل فني ليسجدها لمجتمعه وهنا نتفق مع من يرى أن الفن ليس محاكاة حرفية ومرآة عاكسة بل رؤية وفكر فنان يكمن في مضمون ما يبدهه من مادة من خلال اعمال فنية .



وقد رأى "هيجل" في معرض حديثه عن الفن الرمزي - أن "المادة (التجسيد) تطغى على الروح (أو المحتوى). والمحتوى الروحي يكافح هنا لكي يعثر على تعبيره الكامل، ولكنه يفشل فى الوصول إليه.. ويعطينا ذلك نوعاً من الفن هو الفن الرمزي (Symbolic Art). وعلى هذا إذا كان الهدف هو الوصول إلى فن مكتمل فإن المواد الحسية التى يستخدمها الفنان لا بد أن تقدم نفسها وهى جاهزة للاستعمال برسم الهدف الذى يراد استخدامها من أجله، أى أن تتجرد من خشونتها، وجلافتها وقساوتها، وأن تضع نفسها فى خدمة نيات الفنان ومقاصده كيما يتمكن هذا الأخير، طبقاً لمفهوم الكلاسيكية، ومن دون أن يصطدم بعقبات تخلقها المادة والشروط الخارجية، من التباس المحتوى والشكل الذى يشف عنه، ومن اعطائه الشكل المطابق والموائم أكثر من أى شكل آخر لنياته ومقاصده هو نفسه (١٠). ولكن هل دور الفنان هو مجرد تشكيل المادة؟ إن الفنان إذ يقوم بهذا الدور لا بد له من أعمال العقل أولاً فى الوقوع على (المادة الخام) التى تلائم عمله، والقيام بدور إيجابى فى تهذيب المادة، وقهر قساوتها وخشونتها (فهى لم تعط نفسها له متخليّة عن كثافتها وقساوتها). ولقد قام المبدعون بتطويع المادة واكتشاف أشكال عديدة، وبذلوا جهوداً مضنية على المستوى الذهنى واليدوى كما طبقوا تقنيات مختلفة جعلت المادة أكثر طواعية، ويسراً. وقد كانت الفوارق - فى بعض الأحيان - بين الفنانين هى فى المهارات التقنية والسيطرة على المادة كعنصر رئيسى من عناصر الإبداع الأخرى. ولكن هل مادة العمل الفنى مجرد شئ يقوم بتشكيله الفنان؟ فى الواقع لا بد أن تكون هناك علاقة جدلية بين المادة ومهارة الفنان ورؤيته، فالمادة وحدها - كمادة خام - لا تحمل قيمة استنطيقية فى ذاتها، بل الفنان هو الذى يضيف عليها هذه القيمة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المادة ليست مجرد أداة سلبية تتلقى كل ما يمليه عليها الفنان فى إذعان وخضوع، بل إن المادة بصفقتها ذات كفيات حسية، وخواص محددة تقاوم الفنان، وتحاول أن تأخذه فى مسار معين، قد تعدل من خطط الفنان، أو تصورات، ولكن كلما كان الفنان ماهراً وعارفاً لخواص المواد المستخدمة كلما أمكن التغلب على العقبات. والمادة قد لا تكون فى ذاتها جميلة، ولكنها قد تعطى الفنان ادراكات حسية لمسية وعضلية تكاد تكون مشوبة بلذّة، ومثال ذلك - كما يرى "برتيملى" (١١) فى المواد التى يستخدمها المصوّر، منذ اختراع التصوير بالألوان الزيتية. ولقد بدأ الفن مختلطاً بالحرفة فكان دور الفنان فى البدء هو قهر المادة وجعلها تتواءم مع بعض الأغراض الإنسانية، وقد كانت الآلات بدائية وبسيطة فكان الجهد المبذول مضنياً. وهكذا "ولد قاطع الحجر أو المعماري من الحجر، أو الحداد من المعدن، أشكالاً جديدة، وكان يبدو لهم أن الأشكال تتفجر عن المادة مباشرة، على حين تتطلبها وتثيرها حاجة اجتماعية (تشبيد الكاتدرائيات... أو القصور).

ولكن ليس معنى ذلك ان المادة (مادة العمل الفني) مهيمنة إلى حدّ كبير، بل هذا يعنى ضرورة تفهم المادّة ودراستها، وتذوقها، ثم التعرف على التغيرات التي تطرأ عليها عندما توضع فى سياق (أى تكون الكلمة فى سياق جملة شعرية أو اللون محاطاً بالظلال، وبألوان أخرى... الخ) فهذا يزيد من قدرة المادة على الوفاء بالغرض المنوط بها من قبل الفنان. فتذوق المادة وحدها غير كاف .

ومع أهمية المادة، وضرورتها إلا أن المادة - فى حد ذاتها - كما سبق أن أوضحنا - ليست استاطيقية فى ذاتها، ولذا فلا بد من أن تتخذ المادة صورة (شكلا) حتى يتسنى إدراك العمل الفني، إذ يتضح أن الفن إنما هو "تشكيل ، هو إعطاء الأشياء شكلا، والشكل وحده هو الذى يجعل الإنتاج عملا فنيا. كما أن الشكل أو الصورة ليس عملا عارضاً أو طارئاً أو ثانوياً"

يجيب "جون ديوى" بأن المادة التي يتركب منها أى عمل فنى إنما تنتمى إلى العالم المشترك أكثر مما تنتمى إلى عالم الذات، ومع ذلك فإن فى الفن تعبيراً عن الذات لأن الذات تتمثل تلك المادة بطريقة خاصة متميزة لكى تعاود إخراجها إلى العالم المشترك فى صورة يكون من شأنها بناء موضوع جديد. وإذا كان الإنتاج عملا فنيا جاء الأسلوب فريداً لا مثيل له، ولكن عندما تكون طريقة الإنتاج هى هى بعينها دائماً، فإننا نكون بإزاء عمل آلى. وإذا كان الطابع المميز للعمل الفني هو أنه نسيج وحده فذلك لأن الطريقة التي تعالج بها المادة العامة (أو العناصر المشتركة) تحيلها إلى مادة جديدة حيوي .

إذن فالعمل الفني والذى يتضافر مع التعبير ليقدم الانفعال الجمالى والمعانى والأفكار فى العمل الفني. و "العمل الفني هو بمثابة ثمرة لعملية منهجية خاصة، ألا وهى عملية تنظيم العناصر التي تتألف منها حركته. فإن هذه الحركة هى الكفيلة بان تخلع عليه طابعاً زمانياً يجعل منه موجوداً حياً تشيع فيه الروح. ومعنى هذا أن العمل الفني لا بد أن يصدر عن مهارة إبداعية تتركب الحركة ابتداءً من الساكن وتحقق الزمانى إبتداءً من المكانى، وهنا يستعين الفنان بأساليب الايقاع والتنظيم والتناسب من أجل فرض ضرب من الوحدة على مافى موضوعه من تعدد فى الأشكال أو الحركات والصور".

وهنا نقف أمام تساؤل هل لثقافة وخبرة الفنان دور فى عملية النهوض هذه واعتقد أن الاجابة بديهية نوعاً ما فالفنان المثقف والانسان المثقف بشكل عام سيربى الجزئيات والكليات فى حياتنا أكثر وضوحاً وسيرى كوامن الماديات ليخص من المادة اشكالاً تعكس فكر ورؤى تستنير بها المجتمعات .

وقد أدرك الفنان في الغرب أهمية الفنون ودورها في التأثير على الفرد والمجتمع  
وتفاعله مع المتغيرات أكثر من الفنان في الشرق وسنتناول في المبحث الثالث تفعيل  
دور الفن في المجتمع .

## تفعيل دور الفن في المجتمع

أكدنا في المبحث الثاني على أهمية وماهية العلاقة بين الفن والمجتمع وهذا يتحقق بشكل عام في كل المجتمعات ولكننا لو وقفنا عند العالم الغربي سنرى أن هذه العلاقة أكثر وضوحاً ولو صنفناها سنجدها علاقة تبادلية .

فالفن هناك صاحب موقف واضح ومهم في قضايا مجتمعية وصاحب وظيفة مهمة ومؤثرة نابعة من صميم قضاياها ليخرج بحلول في الغالب .

وربما من الأمثلة الواضحة على ذلك في الفترة النازية والستالينية في ألمانيا والاتحاد السوفيتي سابقاً على التوالي كيف كان الفن صاحب الموقف الترويجي لفكر وايدولوجية الحزب الواحد والقائد والاعظم هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الفن لديه وظيفة أخرى لدى المعارضين من الفنانين و المثقفين .

إذن الفن في العالم الغربي له علاقة حية بمجتمعه يستمد بقاءه وخلوده من حركة وتطور مجتمعاته .

وإذا تأملنا تطور المجتمعات الأوروبية سنى كم من الفنون والمدراس ظهرت مواكبة لهذا التطور .

فعلى سبيل المثال وليس الحصر هناك مدرسة الباوهاوس في ألمانيا والتي تكونت من مجموعة من الفنانين والمعماريين والمهنيين ، قد اتت هذه المجموعة من سنة ١٩١٩ إلى ١٩٣٣ بمجموعة من الأفكار والمقترحات والحلول . وترك نتاج هذه الحركة أثراً على الفرد والمجتمع لا في ألمانيا فحسب بل في كل أوروبا لا وعلى العالم كله وتعتبر هذه الحركة من المؤسسين للفن الحديث في القرن العشرين فادخلت هذه المجموعة الفن في كل تفاصيل الحياة اليومية تقريباً وأصبح الفن بمتناول الجميع وكان الاختزال في التفاصيل وسهولة الاستخدام من الصفات المميزة لهذه الحركة وقد اخرجت هذه المدرسة الفن من المتاحف وصالات العرض وادخلته في تفاصيل الحياة وبهذه الانتقالة أصبح للفن بعداً آخر وبمتناول الجميع ومثال آخر هو معرض المرفوضين في باريس حيث غيرت مجموعة من الفنانين الذوق الفني العام وحتى مقاييس النقد الجمالي ودور الفن والنظرة الجمالية في الفن .

وعلى صعيد الموسيقى والناء كان وما زال للموسيقى دور مهم جداً في التأثير على المجتمع من حيث الحماسة والوطنية والشعور الديني واحياناً خلق عالم من الخيال

يقابل الواقع ليكون معيناً للايحاءات والإلهام اضافة إلى تهذيب الذوق الجمالي والفني.

وإذا حللنا هذا النمو والتطور الفني في المجتمع الاوروبي لتلمسنا العلاقة الديناميكية بين الفن والمجتمع والفرد وفاعلية دور المثقف .

والباحثة ترى ف خضم هذه الأفكار والمقولات أن الحضارة لتسير وهناك مسئولية مشتركة بين المجتمع والفرد الانسان الواعي المدرك المثقف بهوم مجتمعه لخلق علاقة ومناخ قادر على ولادة أفق وأبعاد جديدة أكثر تطورا ورحابة لمجتمع أكثر حبا و عطاءاً لأبنائه .

فالعلاقة إذن مشتركة وتبادلية بين الفرد والمجتمع والبيئة المحيطة والباحثة تقصد بالبيئة المؤثرات الخارجية من الاستقرار وسلام وازدهار وتربية وثقافة وحرية ..الخ.

كلها تساعد في خلق تطور علمي وفني وأدبي وتكنولوجي وصناعي واقتصادي واجتماعي .. الخ .

ففي أوروبا هناك حرية واسعة فيما يتعلق بالذائقة الفنية والتربية الجمالية والوعي والثقافة فالخيارات لا حصر لها أمام الفرد لاختيار الطريق المناسب والاسلوب لتفعيل دور الفرد في المجتمع .

أما مجتمعنا فإنها لم تمر بنفس التطور ولم تسلك ذلك الطريق الحر ولم تتطور صناعياً وثقافياً واجتماعياً كما مرت به المجتمعات الأوروبية ولكن هذا لا يعني أن المجتمعات الأوروبية أفضل بل أنها مرت بتجارب وأن هذه التجارب اسهمت بخلق تفاعل حي بين الفن والمجتمع .

ومن أجل أن تتطور مجتمعاتنا العربية والاسلامية وتمر بالمراحل التطويرية التي واكبت نمو المجتمعات الأوروبية هناك عقبات لا بد من اجتيازها والوصول إلى البر الثاني وهذه الحلول هي في الحقيقة سلسلة من التحويلات المهمة أهمها محو الأمية ووضع مناهج دراسية تعني بالإنسان وتطور حواسه ومداركه ولا تجعله يعيش في الماضي بل يعيش بالحاضر .

وتعني بتنمية الحربية للإنسان داخل مجتمعه ليتم تفعيل دوره خلق ثورة صناعية كالتى حدثت في أوروبا في القرن الثامن عشر وما زالت إلى الآن وتعززت بالثورة التكنولوجية ووسائل الاتصال والتي امتدت إلى شرق آسيا .

وهنا أنا لا أنكر خطوات النمو التطور في مجتمعنا ولكن اشكو من بطئ وثقل هذه الخطوات ومن خضم عملي كتدريس في بعض الجامعات أرى هذا النمو والتطور ولكن بخطوات ثقيلة ومتباعدة ورغم ذلك هناك حركات فنية ومسرحية وعلى سبيل المثال لا الحصر هناك أعمال مسرحية وهذه خطوات النمو في كل مجتمعنا ولكنها تحتاج دائماً على من يشجعها وينميتها .

فالعلاقة بين الفن وحركة المجتمع هي علاقة مبنية على تراكم معرفي على متلف الأصعدة والمجالات وقائمة على التداخل والتفاعل بين هذه المجالات .

هذاالنسيج المتنوع وما يحتويه من فعاليات وتضادات والتقاءات عليها أن تجعل الانسان أول كل شيء فالمجتمعات العربية بحاجة ماسة إلى التركيز على الانسان ككائن أهم وحر ثم تأتي بعد ذلك القبيلة ويأتي الدين بعد ذلك يصبح للفن دور مهم يناسب كل مجتمع من المجتمعات العربية .

## المبحث الرابع

### دور التربية الفنية في نمو المجتمعات

العمل الفني نتاج ابداعي فبعد انتهاء الفنان من ابداعه وعرضه على المتلقي يحمل داخل بنيانه قيم جمالية ورموز في قالب واسلوب مبتكر وهذا العمل بعد عملية العرض يفصل تماماً عن الفنان المبدع متحولاً لكيان مستقبلي بذاته من سماته عدم التكرار والابتكار لا يفصح عما به من قيم جمالية دفعة واحدة بل يحتاج لتكرار محاولة استكشافه بخليفة ثقافية للوقوف على عالمه الداخلي المتفاعل بثقافة الفنان المبدع الداخلية والمحملة بأطر اجتماعية كالبينة الأسرية والاقتصادية والسياسية والنفسية و التعليمية .

إذن الثقافة التربوية الفنية والمستوى التعليمية للفنان والمثقف أو المتذوق أو الجمهور عناصر ذات علاقة وثيقة بالفن والعمل الفني وتطور المجتمعات عبر هذا الفن .

وهذه العلاقة متبادلة فالتربية تؤثر في الفن والفن يؤثر بالتربية فالاتجاهات التربوية الحديثة تهتم بالتربية الفنية وتحديث الفكر التربوي لها . وذلك بتعزيز مرحلة الاستكشاف لدى الطلبة تلك المرحلة التي تعتمد على الجهد الذهني للطلبة لتعقبها مرحلة التفكير والحدث لما وراء تلك الاستكشافات التخيل وفي هذا الصدد تهتم التربية الفنية بتنمية القدرة على التخيل كاحد الموارد العقلية الانسانية لبيدات العلم والمخترعات فالتخيل هو تفكير فعال لإيجاد أنماط جديدة من الحلول تفيد في حل مشكلة ما وهذا يحتاج إلى قدرات مختلفة لاكتشاف علاقات جديدة للعمل الفني ولرؤية الحل لأي مشكلة فنية تعتمد هذه التقنية على مهارة التخيل – فعلى الفرد أن يتخيل كيف يكون شكل الحل وكيف يبداوا للعين وكيف يمكن تنفيذه ويقوم بالتفكير فيه قبل بداية حل المشكلة أي مرحلة بحث ودراسة تقود إلى حل لمشكلة فنية أو أي قضية ليصل إلى مرحلة التعبير الفني عن تلك المشاكل التي بحث فيها وحاول الوصول إلى حلول لها لتتم عملية إنتاج الأفكار ومن ثم استحسان أفضلها وانسبها كحل للمشكلة للتغلب عليها ، وأيضاً تعميقها وتطبيقها في المواقف المشابهة.

وأخيراً يتم التقويم بشكل مرحلي لخطوات العمل للتأكد من نجاح كل خطوة للتقدم للخطوة التالية وتقويم نهائي للأهداف الإجرائية للعمل الفني وذلك للتعرف على مدى ما اكتسبه الطلاب من مفاهيم ومعارف أثناء حل المشكلة .

ومن خلال من ذكر أعلاه يمكن للمتعلم أن يجد حلولاً ابتكارية لأعماله تمشياً مع التغيير السريع والمستمر الذي يحدث في العصر الحالي والذي يحتاج إلى الإنسان مرناً قادراً على تكيف ظروفه واجباته من التغييرات السريعة التي تحدث في بيئته حتى يستطيع أن يساير هذا التغيير السريع والمستمر وذلك لأن عالم اليوم يتطلب مستوى عالٍ من التفكير والابداع للأفراد ليكونوا قادرين على فهم تطوير هذا العالم فالحاجة ماسة إلى علماء مبدعين يستطيعون تطويع المعرفة الفنية الجديدة للتطبيق.

إن الفن والشعر يستخلصان صوراً ذهنية حقيقية من العالم ومن الزمن ومن الطبيعة وهي صور أبدية ومعقولة بشكل عام فهي الشيء الوحيد الثابت على الأرض ، وهي الخليقة المثالية الثانية المتحررة من القيود الزمنية الفردية وهي الخلود الأرضي لغة الشعوب ، ولكن علينا دائماً أن لا ننسى كم عانت التربية الفنية من النقد لكونها – كما وصفت – مادة تعتمد على الموهبة فقط ولا يمارسها سوى الموهوبون وهي تهتم بالمظاهر الجمالية فقط ولا تصبوا إلى مصاف المواد الدراسية العملية الأخرى لذلك اعتبرت مادة للنشاط والترفيه ولذلك لا تحظى باهتمام الطلاب وأولياء الأمور وأيضاً القائمون على التعليم .

وفي مجتمعنا العربي نرى تلك المعاناة بشكل ربما أوضح فالاهتمام بالجانب الفني والجمالي هو ضرب من الترفيه وقد يؤثر سلباً على مستوى الطلبة وذلك من وجهة نظر الكثيرين ولكن العالم الأوروبي وبعض الدول النامية قد تقطنت على أهمية مادة التربية الفنية فالعلاقة واضحة بين العلم والفن كالعلاقة بين ظهور المدارس الفنية المختلفة وبين مدراس العلوم الانسانية والنفسية فيلاحظ أنه لا مدرسه تأثيرية بدون فهم نظريات الضوء وليس هناك مايكل انجلو بدون الهندسة والرياضيات ولا تجريدية بدون تقدم تكنولوجي ونظرية النسبية ومفهوم الحركة .

ومن بين الاتجاهات الحديثة ترى الباحثة تأثر التربية الفنية بهذه الاتجاهات خاصة (قضية واحدة المعرفة الانسانية) في عصر ثورة المعرفة والاتصالات وبالتالي العولمة فهي من القضايا التي نالت اهتماماً كبيراً من علماء التربية فأكد الكثيرون على ضرورة التكامل بين مجالات المعرفة الإنسانية وأبرز وحدثها كان تخضع المعاني الأشياء المعنوية في الفن إلى التعبير الفني المقنن بشكله الرياضي أو العلمي أو الاجتماعي .

كما يؤكد ذلك هربرت ريد بقوله أن "قيمة الفن تتجسد كوسيلة تربوية" وشان الفن كشأن التنفس من حيث له عناصر ايقاعية وشأنه شأن الكلام من حيث له عناصر



تعبيرية هنا شأن كشأن لا ينم في هذه الحالة على التماثل ذلك أن الفن ينخرط بعمق في العملية الواقعية الإدراكية والفكر والعمل الجسمي اعني إقامة مفهوم عن الفن باعتباره جزءاً من العملية الحيوية المتعلقة بالتطور الانساني فالفن هو أحد الأشياء كالهواء أو التربة اللذين يحيطان بنا من كل جانب ولكنهما نادراً ما يستوقفانا لتأملهما فمهما كان تعريفنا للفن هو فهو موجود بكل شيء نعمله لنمتع به حواسنا ولسوف نوى ان هناك نوعاً من التسلسل بالفن وان كثيراً من الصفات تتضافر لكي تجعل أحد الاعمال الفنية من أرفع الأنواع ولكن ليس هناك عمل أصيل للفن لا يروق لحواسنا بالدرجة الأولى - أعني أجهزتنا الجسمية الخاصة بالادراك - فنستطيع القول كنقطة بداية ان هناك شيء مشتركاً بين جميع الأعمال الفنية هو ما نسميه بالشكل وتلك كلمة بسيطة قصيرة ولها معنى مألوف لدى كل شخص ، فشكل أحد الأعمال الفنية هو الهيئة التي اتخذها ويستوي في ذلك ان يكون العمل الفني تمثالا او صورة أو قصيدة أو سوناته (لحن موسيقى لآله مفردة) فكل هذه الأشياء اتخذت شكلاً معيناً أو شكلاً متخصصاً) وذلك الشكل هو شكل العمل الفني ... والعمل الفني يكتسب الشكل من قبل شخص معين ونسمي ذلك ذلك فنناً وذلك الذي يضيفي شكلا على شيء ما .. ومن منطلق الشكل يأتي انفعال الجمال ومن المستحيل أن ندرك الشكل ادراكاً تاماً إلا باعتباره لوناً فأنت لا تستطيع أن تفصل بين ما تراه كشكل وبينما تراه كلون وذلك لأن اللون هو ببساطه انعكاس لأشعة الضوء على الشكل الذي ندركه ويعتبرا للون الجانب الظاهري للشكل .

إذن الفن انتاج شكل بهيئة معينة يعبر عن علاقة بين مبدع الشكل (الفنان) والمواقع (البيئة) والمتلقي (الجمهور) وهذا الشكل من خلال العمل الفني يحمل العديد من المفاهيم والرسائل يدركها المتلقي بحواسه الإدراكية .

والفن لغة عالمية تصل المتلقي بكل تنوعاته اللغوية والثقافية ليعكس حضارة وفكر لمجتمعات وأمم وربما يتسأل أحدهم هل الفن دوماً يسجد مجتمعه ويحمل رسالة في مضمون الشكل أو العمل الفني ؟

نقول لا بل احياناً عندما يكون الفنان مثقافاً ومهموماً بقضايا مجتمعه ومؤمناً بما للفن من ضرورة في بناء وتكوين المجتمعات .

إذن فالصورة التي يبدعها الخيال هي نوع من العلاقات المرتبطة بالواقع المحسوس ولهذا الصور دورها الهام في المعرفة العلمية . وهذه الصورة بالتالي شكل فني يحمل معنى مضمون يعلل تنامي الاحساس الجمالي لدينا بنمو التربية والثقافة الفنية للمجتمعات .

## النتائج والتوصيات

من خلال ماتقدم ترى الباحثة أن هناك ضرورة وحاجة ماسة للتنقيف والتعليم على المستويين الاجتماعي والتربوي كما أن ثقافة الفن تتبع من الذات الإنسانية المتأثرة والمنفصلة بما يحيط بها اجتماعياً وتربوياً وذلك من خلال ما يلي ..

اولاً : يلاحظ في الفترة المعاصرة اهتمام أكبر بالفن ودوره التربوي والاجتماعي وذلك مواكبة مع العالم والتطور الحضاري ومن الجدير بالذكر أن انوه هنا أنه خلال اقامتي في دورة عربية بدأت تظهر مدارس خاصة بالفنون والاعلام .

ثانياً : ان الأعمال الفنية تدركها ونفهم مضمونها من خلال ما تحمله من قيم ورموز ومعاني وعلى قدر فهم تلك المضامين يكون مستوى التذوق وعليه يجب توجيه اهتمام أكبر إلى ثقافة الفن التربوية الفنية والجمالية من خلال التركيز على الثقافة الفنية المتحققة من دروس النقد والتذوق الفني وتاريخ الفن وكل ما يمكن ان يسهم في تدعيم الثقافة الفنية بصرياً .

ثالثاً : تساهم العلوم الحديثة والتقنية المعاصرة في تعميم وتفعيل الدور الاجتماعي والتربوي للفن

رابعاً : التأكيد على أهمية الفن في تشكل الاتجاهات الاجتماعية والارتقاء بالتذوق الفني العام

خامساً : إن متابعة الأعمال الفنية والفن من الناحية التربوية وسيلة لاكتساب المتعلمين مهارات النقد والتحليل الفني مما يجعله أكثر قدرة على التذوق والتطور في مجال الفن .

سادساً : التأكيد على أهمية البحث في المواضيع الفنية والثقافة الفنية بشكل عام

سابعاً : الفن خالد خلود الحضارة وقائم ما قامت الحضارة ومع ذلك فهو بحاجة إلى حماية ورعاية وكأي تعبير انساني فكري يحتاج إلى بيئة ومناخ حر لينطلق إلى العالم الخارجي ليتجسد بصورة مدركات بصرية ابداعية لتنمو وتتطور وتحتاج إلى تقدير ومشاركة متلقي ومتذوق واعى واقصد هنا جمهور مثقف لتعميم هذه اللغة وتسويقها للمجتمع .

ثامناً : وبناء على كل ما سبق فالفنان إنسان متميز من حيث حساسيته للشئون البيئية والجمالية والاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية وكصاحب رسالة ولغة تفهمها كل الشعوب ولا تحتاج إلى ترجمة عليه أن يبلغ رسالته ويكون فعالاً ومشاركاً في مجتمع ووطنه رائداً في حمل هموم قومه وأقرانه وتاريخه وثقافته.

الخاتمة :

الفن تعبير ورسالة ثقافية وتربوية واجتماعية لغة الحضارة وأهم صورها فعن طريقة نفهم المجتمعات وندرس تطورها فهو انتاج حضاري وتعبير ثقافي له شروط وقوانين تميزه عن غيره من انتاج او تعبير عادي فالفن هو تعبير غير عادي هو تعبير أو انتاج ملفت للنظر ومثير للأحاسيس إن الفن يجب أن يعكس ذوقاً وعلماً ورسالة ليكون فن هادف إلى جميع الأحاسيس والعواطف والعقول والادراكات البشرية على مدى العصور وعلى مختلف الثقافات .

فلولا الفنون لما كانت هناك حضارة أو ثقافة على وجه الأرض فالفن هو لغة عالمية ووسيلة اتصال بين الشعوب وبين العصور والفن ضرورة في المجتمع وحاجة جمالية كان وما زال أقدر شيء للتعبير عن وجود الانسان وحضارته فالفن رسالة للحاضر والمستقبل عما كنا عليه من تطور ورقي وحرية او من تخلف واضمحلال وجمود فكري فعسى ان تكون رسائلنا تحمل في ثناياها حرية وحياء وسمو لمجتمع حر قد كابد الظالم دهور .

وأخيراً علينا أن نتأكد أن الفن الذي يتسم بأنه أخلاقي هو الفن الذي يحض على القيم الايجابية في المجتمع ويعمل على إشاعة الألفة والمحبة بين مكونات المجتمع عاملاً على الارتقاء بفكر وذوق الانسان وتحرير النفوس وتعديل السلوكيات واطلاقات طاقات الانسان بعيداً عن التعصب وحثه على ايتاء كافة ما يحافظ على قدسية الانتماء فالفن يسعى لإيقاظ الضمير ويجعل الانسان يميز الصواب من الخطأ على أن لا يخذ الشكل المباشر الوعظي حتى لا يفقد من جماليات الإبداع الفني .